أم المماليك

من هذه المرأة النبيلة ذات الوجه الملائكى ، الجميل السمات ،.. البارع القسمات ، التى وإن بلغت من العمر أكثر من الحلقة الرابعة ، بل تقدمتها إلى الخامسة ، ولكن لم تفارق وجهها ملاحة الصبا ، وفتنة الشباب ، ورواء المنظر ، وبضاضة الأطراف وروعة المحيا ، ونبل الإيماءات .... مما ينم عن عز أثيل ... وماض جليل ، وحاضر عامر بالمفاخر ، مزدان بقلائد الفضل ... نعم ولا عجب ... فقد كانت من أجمل نساء عصرها ... وأشقى امرأة كذلك ... أما جمالها فحسبه أن كان سببا ولو غير مباشر لمصرع زوجها العظيم على بك ، لأن مراد بك مملوكه أيد محمد بك أبو الذهب فى خيانته لسيده مقابل أن ينال أجر هذه الخيانة ، وكان الأجر أن يتزوج نفيسة هانم زوجة سيده ... وهكذا شاءت الأقدار ... أن يفرض عليها الزواج بمراد بك وهو ما هو ... فهو شخصية بغيضة ، لم يذكر لها التاريخ شيئا حسنا ، على النقيض من على بك صاحب المآثر والمفاخر الجمة .

أما شقاؤها ... رغم غناها ... وعزها الباذخ ، فلأنها تضم بين جوانحها قلبا يفيض أسى وحزنا للأحداث الدامية التى حفل بها عهدها ... رجال ونساء ... شيب وشباب ، فى ميعة الصبا ورونق الحياة ... يذهبون إلى غير رجعة ... وشعب يصفق للدماء تجرى هنا وهناك ... فى جو ملىء بالمؤامرات والدسائس والخيانات .